المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 18 -- العدد 01 -- جوان 2026 ص 77 - 92

الاهتمامات العلمية عند الرحالة عبد الرزاق بن حمادوش من خلال رحلته لسان المقال

Scientific Interests of the Traveler Abd al-Razzaq ibn Hammadush Through His Journey: Lisan al-Maqal

بكار دهمة أستاذ محاضر أ dahmaa01@gmail.com	تاريخ حديث ومعاصر	جامعة غرداية/ الجزائر
صالح بوسليم أستاذ التعليم العالي salahboussalim@yahoo.fr	تاريخ حديث ومعاصر	جامعة غرداية / الجزائر

DOI :

الإرسال: 2026/03/20 **القبول**: 2026/06/12 **النشر**: 2026/06/20

ملخص:

يهدف المقال إلى تسليط الضوء على أحد أهم الشخصيات الثقافية والعلمية في الجزائر عاش في القرن 18م وعاصر عهد الدايات، وهو عبد الرزاق بن محمد المدعو ابن حمادوش الجزائري ابن مدينة الجزائر الذي كان اهتمامه منصب منذ صباه على العلوم الطبيعية والتجريبية كالعلوم الطبية والفلكية والجغرافية والصيدلانية والنبات، وهذا إلى جانب اهتمامه بالعلوم النقلية والتراثية كالفقه والأدب والتاريخ واللغة، وقد كان مولع بإقامة التجارب على أبحاثه النظرية فحاول عّدة مرات تركيب مراهم طبية وتحضير أشربة صحية صيدلانية، كما قام بإجراء تجارب على السوائل والموازين والكتل وحركة الرياح واتجاهاتها في البحار، وأجرى تجارب على طرق رمي القذائف المدفعية ووضع خريطة بحرية لحركة السفن، فأصبح بفضل هذه البحوث والتجارب أحد أهم البحاثة في العلوم الطبيعية التجريبية في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر.

كلمات مفتاحية: ابن حمادوش، الدايات، رحلة لسان المقال، العلوم الطبيعية، مدينة الجزائر.

Abstract:

This article aims to highlight one of the most important cultural figures in Algeria who lived in the 18th century and lived during the Pashwat era, Abderrazak Ben Mohamed, the son of Hamadoush al-Jazairi, the son of Algiers, who has been focused since his youth on natural and experimental sciences such as medical sciences and astronomy. In addition to his interest in transport and heritage sciences such as jurisprudence, literature and history, he was fond of experimenting with his theoretical research and tried several times to install medical ointments and prepare pharmaceutical health drinks, as well as conduct experiments. On liquids, scales, blocks, wind movement and directions at sea, he conducted experiments on the

methods of throwing artillery shells, and developed a maritime map of the movement of ships, and thanks to this research and experiments became one of the most important researchers in the experimental natural sciences of that era in which most of its elders and scientists were interested in conservation-based transport sciences and novel.

Keywords : Ibn Hammadoush, Midwives , the journey of the tongue of the article, the natural sciences, the city of Algeria.

مقدمة:

جاء في كتاب أبو القاسم سعد الله أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الجزء الأول أن أول من اكتشف ابن حمادوش الجزائري هو الفرنسي الدكتور لوسيان ليكليرك Lucien Leclerc الذي ترجم له كتاب كشف الرموز إلى اللغة الفرنسية (سعد الله،2009، صفحة 221)، وقد أورد اسمه كذلك الكاتب الإسباني قونزاليز González في كتابه مشاهير مسلمي مدينة الجزائر في الطبعة التي ظهرت سنة 1886م، ولكن اختصر ذكره في ثلاثة أسطر فقط، تحدث فيها على تاريخ ميلاده الصحيح وهو تاريخ لم يهتم به المؤرخ الفرنسي لوسيان ليكليرك مما يرجح بأن الكاتب الإسباني قونزاليز قد اطلع على رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال ، وقد أشار إليه أبو القاسم الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف سنة 1907م فأورد تقريباً المختصر الذي كتبه عنه الكاتب الإسباني قونزاليز(الحفناوي، 2007، ص471) ولم يأتي بأي جديد يذكر بخصوص حياة الرحالة ابن حمادوش الذي يبدو أنه كان مجهولاً في الميدان الثقافي والعلمي بالجزائر، فقد تجاهلته الكتابات المعاصرة لتلك الحقبة من تاريخ الجزائر، وقد أورد هو بذاته جزء كبير من حياته في رحلته التي لم يطلع عليها إلا القليل.

سنحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة عن سؤال إشكالي تبلور لدينا بسرعة أثناء مطالعتنا لبعض ما خلفه الرجل من كتابات في شتى الحقول المعرفية الأدبية والعلمية، ويكّمن التساؤل في بحث الظروف والأسباب التي دفعت بابن حمادوش للتعلق بالعلوم الطبيعية والتجريبية؟، وهل كان ذلك نتيجة رغبة ذاتية شديدة لإشباع فضوله علمي وحسب؟، أم كان نتيجة وعي الرجل بحجم تخلف بلاده والعالم الإسلامي في مجال تلك العلوم مقارنة بما أحرزه الغرب الأوروبي من تقدم في تلك الحقبة؟، وقد اعتمدت على المنهج التاريخي والوصفي في استعراض قدرة وإمكانيات وتجارب الرجل العلمية مع شيء من

التحليل لبعض النقاط المتعلقة بمسائل الأبحاث والتجارب التي أجراها في مجالات مختلفة، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وخمسة عناصر وخاتمة.

1- مولده ونشأته:

ولد عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري في نهاية القرن 17م في حدود سنة 1695م في مدينة الجزائر، وقد كانت أسرته من الطبقة المتوسطة الحرفية، وكان والده يمارس حرفة الدباغة، وكان ابن حمادوش أشعري العقيدة، مالكي المذهب شريف النسب (بن حمادوش، 1983، ص 29)، ولم تشير المراجع إلى سنة وفاته وإن أجمعت على أنه تجاوز التسعين سنة من عمره أي توفي في حدود سنة 1785م .

عاصر ابن حمادوش الجزائري أحداث ووقائع سياسية متعددة، وعايش أوضاعا اجتماعية واقتصادية وثقافية مختلفة فهو حسب ما دوّن في رحلته المسماة لسان المقال التي تعتبر مصدر مهم لجزء كبير من عهد الدايات (عامر، 2012، ص ص 372 371) في الجزائر فقد ذكر بعض الثورات الداخلية التي نشبت مثل ثورة أهل الزواوة على قائد سباو وتوقيع الصلح بين إيالة الجزائر ودولة الدانمارك والنرويج سنة 1772م (سعد الله، 2009، ص 224).

عايش ابن حمادوش أحداث اجتماعية وثقافية متنوعة أثرت في مجرى حياته وقد تناول ذلك بنوع من التفصيل في رحلته المسماة لسان المقال التي سجل فيها كل ما كان يجري في الجزائر(سعيدوني، 1999، ص 432) وخاصة في المناسبات الاجتماعية والأعياد الدينية وعادات وتقاليد أبناء مدينة الجزائر في احتفالات الأعراس، ومتطلبات ما قبل إمضاء عقود الزواج، ومعاناة سكان المدينة في البحث عن العمل والعيش الكريم، كما كان مهتماً بحركة وعدد القوافل التجارية التي تمّون أسواق المدينة بأنواع السلع والبضائع، وكان له اهتمام برصد وتتبع تقلبات الأسعار في الأسواق وقد كان ابن حمادوش رغم حالته وظروفه الاجتماعية الصعبة مهتماً بتحصيل العلم بدلاً من الجري وراء لقمة العيش والمال والجاه مثل أقرانه(هلالي، 2008، ص 232).

تتلمذ ابن حمادوش على يد كوكبة من المشايخ والعلماء في مدينة الجزائر كما قرأ وأخذ على بعض العلماء في المغرب وتونس، وكان أكثر اهتمامه منصباً على قراءة ومطالعة الكتب

العلمية فاطلع على مختلف العلوم والمعارف التي كانت متداولة في وقته، وقد ذكر في رحلته لسان المقال طائفة من الأساتذة والمشايخ الذين درس وتتلمذ على أيديهم من أمثال الشيخ محمد بن ميمون، وأحمد بن عمار (نويهض، 2013، ص 241) صاحب نحلة اللبيب، والمفتي الشاعر ابن علي والشيخ عبد الرحمن الشارف، والشيخ أحمد عبد الرزاق البوني(سعد الله،2009، ص225).

ومن العلماء الذين قرأ عنهم في المغرب وأجازوه نجد مثلاً الشيخ محمد بن عبد السلام البناني الفاسي والشيخ أحمد الورززي التيطواني، والشيخ أحمد بن المبارك، أما في تونس فقد درس على يد الشيخ محمد زيتوني الذي كان يلقبه بشيخنا، والشيخ محمد الشافعي الذي التقى به في مدينة الجزائر عندما جاء هذا الأخير فاراً من حاشية حاكم تونس الباي محمد الرشيد(الموسوعة التونسية،2021، ص 18).

ورغم ثقافة ذلك العصر القائمة على العلوم النقلية والدينية إلا أن ابن حمادوش قد كان اهتمامه منصباً بشكل كبير على علوم النبات، والطب، والصيدلة، والعلوم التجريبية بصفة عامة، فانكب على قراءة كتب ابن سينا وإقليدس، والقلصادي(موقع إلكتروني،2021)، والأنطاكي وابن البيطار وغيرهم من علماء المسلمين واليونان.

وقد كان لابن حمادوش ميل كبير في الاعتماد على المنهج التجريبي في البحث والتقصي ويبدو أن الرجل كان له مخبر لإجراء التجارب فقد أجرى تجارب متعددة على النباتات والأعشاب وقام بتركيب مراهم ومساحيق طبية كما كان مولعاً بالبحث في طبيعة السوائل وتقدير كتلها وموازينها، وبحث كذلك في حركة الرياح واتجاهاتها واهتم بعلم حركة القذائف فكان يجري التجارب على طبيعة حركة القذائف ومسارها في الميادين والساحات البعيدة عن التجمعات السكنية، كما كانت له اهتمامات بالملاحة البحرية وقد أنجز في هذا المجال خريطة توضح حركة التيارات البحرية، وقد كان مهتماً بعلوم الفلك وطبيعة شكل وحجم الأرض، وقد استحق بفضل هذا الاهتمام بالعلوم في مختلف المجالات لقب الموسوعي والعالم بمعنى الكلمة وقد لخص ذلك عندما قال في رحلته لسان المقال بأنه أصبح عشاباً وصيدلانياً وطبيباً في بعض الأمراض(لوسيان،1876، ص 310)، وبفضل اهتمامه بالبحث في مجال العلوم التطبيقية المحضة جاءت معظم كتاباته ومؤلفاته في هذا الميدان بدلاً من المجالات المعرفية الأخرى الأدبية والفقهية واللغوية التي كانت تميز علوم

ذلك العصر في العالم العربي والإسلامي ومن أهم كتاباته ومؤلفاته في هذا الحقل العلمي نذكر على سبيل المثال لا الحصر الكتب الآتية:

-كتاب الجوهر المكنون في الطب. - كتاب في الأعشاب الطبية.

-كتاب صورة الكرة الأرضية. - كتاب في الإسطرلاب.

-كتاب في علم الفلك - كتاب في أمراض الطاعون.

-كتاب في القوس لرصد الشمس(سعد الله،2009، ص 227).

ولابن حمادوش مؤلفات أخرى في المنطق وفي الأدب مثل كتاب الدرر على المختصر الذي حلل وناقش فيه مختصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي، وكتاب في النحو شرح فيه ألفية ابن مالك، وله ديوان في الشعر قال أنه بناه على الغزل والمراثي ومدح الرسول صل الله عليه وسلم، وله بعض المقامات الأدبية ذكر منها ثلاثة في رحلته لسان المقال، بينما باقي كتاباته كانت كلها في العلوم التطبيقية، وقد كان حريصاً على تدوين كل ما يقرأه(سعد الله،2009، ص 228) وحسب ما جاء في رحلته فقد زار الكثير من الأقطار والأمصار من تيطوان وفاس في المغرب غرباً إلى مصر والحجاز وتركيا شرقاً، وقد كانت رحلة علمية ومعرفية حقيقية أطلع أثناءها على عّدة علوم وكتب والتقى فيها الكثير من المشايخ والعلماء(سعد الله،ج1، 2009، ص ص 225 229).

2- رحلته لسان المقال:

تتكون الرحلة من حوالي 387 صفحة من الحجم المتوسط، وتحتوي كل صفحة على حوالي 22 سطر تقريباً وجاءت في جزأين تحت عنوان لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل بحيث يبدأ الجزء الثاني من تاريخ 1156ه الموافق ل 14 فيفري 1743م وهو التاريخ بداية الرحلة إلى المغرب وآخر سنة ذكرها في هذا الجزء هي سنة 1747م أي دامت الرحلة حوالي أربعة سنوات، أما الجزء الأول من الرحلة فهو مفقود للأسف(سعد الله، 2009، ص 230) ، ويمكن تقسيم المحتوى العام للرحلة إلى ثلاثة أقسام وهي، القسم الأول ويتحدث فيه عن أحوال بلاد المغرب والمغاربة ويبدأ من الصفحة الثانية 02 وينتهي تقريبا في الصفحة رقم 75 ويمثل هذا القسم أهم أقسام الرحلة لما احتواه من معلومات وأحداث

ووقائع (بن حمادوش، 1983، ص ص 15 10)، أما القسم الثاني فقد تضمن حياته وهو عبارة عن مذكراته اليومية جمع فيه كل ما لاحظه وقرأه في الجزائر وخارجها، وفي القسم الثالث الذي هو عبارة عن مجموعة من الاقتباسات والمعلومات نقلها الكاتب الرّحالة من مصادر ووثائق ومخطوطات متنوعة كانت بمثابة مصادر وأصول لأبحاثه (عمورة، 2009، ص 149).

وقد اتبع بن حمادوش في كتاباته أسلوب وطريقة الحوليات وكان منهجه يتضمن الكثير من الحشو بحيث يذكر كل ما يقع في تلك السنة من حوادث ووقائع وهي في الغالب متعلقة بشخصه وقد التزم في كتابته الأمانة العلمية بدقة متناهية (سعد الله،2009، ص 232)، والباحث في العلوم الاجتماعية يجد في رحلة بن حمادوش مادة علمية دسمة وغنية لمعظم الأقطار التي زارها، ومن هذه الجوانب الاجتماعية ذكره لصيغ الصلاة والأدعية المعهودة عند أهل مدينة الجزائر في ختم كتاب صحيح البخاري يقول كانوا يقومون برش ماء الورد على جموع الحاضرون بالجامع الكبير، وفي ليلة السابع وعشرون من شهر رمضان أي ليلة القدر يقوم متولي الجامع الكبير بإفراغ حوالي قنطار من الشمع الأخضر على ثلاثين موقد شموع بحيث يطوف الخدم بهذه الشموع المشتعلة في كل أحياء المدينة وهم يرفعون أصواتهم بالترانيم والأناشيد والابتهالات بعدها يتجه الجميع إلى ساحة دار الإمارة ومنها إلى دار مفتي المدينة والوكيل ليعودوا بعد ذلك إلى الساحة التي انطلقوا منها بالجامع الكبير (سعد الله، 2009، ص 234) وبنفس الطريقة تقريباً يحّيون ليلة المولد النبوي الشريف.

وكان يقام مثل ذلك عند ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وقد عقد مؤلف الرحلة عّدة مقارنات بين ما كان يجري من عادات في مثل هذه المناسبات في الجزائر وفي المغرب وقد تناول في رحلته ما كان يجري في الأعراس وذكر أنواع الصداق والمهر في الزواج وإمكانيات كل طبقة وفئة اجتماعية في ذلك ولم يغفل حتى عن أنواع ملابس النساء في هذه المناسبات كالقفاطين الملونة والمزركشة وأنواع الجواهر والحلي (سعد الله،2009، ص 235).

وفي الجانب الثقافي تحدث ابن حمادوش على الشيوخ والعلماء الذين كان يراسلهم ويتواصل معهم وكان من هؤلاء القاضي محمد بن ميمون، والمفتي بن علي الذي يبدو أن بن حمادوش كان على خلاف معه في مسائل متعددة كما كانت له مراسلات مع الأديب الشاعر

أحمد بن عمار(شقرون، 2017، ص ص 5- 3) الذي كتب في حقه تقريظ على إثر صدور كتابه الدرر على المختصر، وبالعالم الشيخ عبد الرحمن الشارف الذي كتب له شهادة في تصحيح كتابه، ومع المفتي محمد بن الحسن، وقاضي مدينة قسنطينة محمد الحنفي، والشيخ المفتي عبد الرحمن المرتضى، ومفتي المالكية الحاج محي الدين الزروق(سعد الله، 1983، ص 235).

احتوت الرحلة أحداث ووقائع ومعلومات كثيرة ومتنوعة عن تاريخ الجزائر الحديثة، وتاريخ أقطار المغرب العربي تونس والمغرب بحيث اعتبرها المؤرخ أبو القاسم سعد الله مصدر مهم ومتنوع للباحثين في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية فهي بمثابة رحلة مغاربية بامتياز تكاد تكون خالية من التكلف والصنعة الأدبية كتبها صاحبها بأسلوب سهل وبسيط وستظل مصدر لا غنى عنه لدراسات في حقول المعرفة الثقافية والسياسية والاجتماعية في الجزائر وبلاد المغرب خلال القرن الثامن عشر للميلاد 18م (عمورة، 2009، ص ص 149 151).

3- الجانب العلمي عند ابن حمادوش :

إن أهم ما يلفت النظر في دراستنا لابن حمادوش هو اهتمامه بالجانب العلمي وشدة ملاحظاته لما حوله في الطبيعة، وفي أحوال الناس، نجده في رحلته أثناء تواجده بالمغرب الأقصى شغوفاً بتسجيل ملاحظاته العلمية وكل ما يلفت انتباه ويؤلف الرسائل ويناقش المسائل التي لم تكن تشغل عقل جيله من العلماء والباحثين(مقدم، 2011، ص 28)، فرغم ظروف العصر المتميز بالتخلف والجهل المطبق وبالاستبداد السياسي والانغلاق الثقافي وبالاعتماد على العلوم النقلية والمختصرات والشروح والحواشي إلا أننا نجد بن حمادوش يبحث في مسائل علمية طبيعية وطبية وفلكية وهندسية محضة(بن حمادوش، 1983، ص 10)، وقد وصف نفسه مرة فقال بأنه عشّاب وصيدلاني وطبيب ولم يكن آنذاك عمره قد تجاوز الثمانية وثلاثون سنة، وكان قد قام بعّدة أبحاث وتجارب ضّمنها في رحلته بقوله " ... اليوم والحمد لله أنا عشّاب وصيدلاني وطبيب ... "(بن حمادوش، 1983 ، ص 164).

يبدو أن بن حمادوش من خلال ما جاء في الرحلة كان يتبع المبادئ الأساسية في البحث العلمي إذ نجده يعتمد على مشاهداته وملاحظاته الميدانية المباشرة إذ يقول من غريب ما رأيت في المروج التي مرت بجانبها طيور تضع بيضها في أعشاش فوق الماء، يقول وعندما سألت أهل المنطقة في هذا الشأن أعلمُوني بأن طيور الغر والبوغطاس لا يضعون البيض إلا في أعشاش وأفُحص متينة مصنوعة فوق الماء، بحيث لا يمس الماء بيضهم وإن مسه يفسدُ ولا يفقس (بن حمادوش،1983، ص 73).

ومن مشاهداته تسجيله بإعجاب لقوارب صيد لاحظها في هذا المرج قال بأن أهل المنطقة يصطادون بها الأسماك والطيور ويجمعون بواسطتها بيض الطيور السابقة الذكر، ويستعملونها للعبور من ضفة إلى أخرى ويحملون عليها الزرع وغيره، وقد عقد ابن حمادوش مقارنة في رحلته بين قوارب الصيد التي رآها في المغرب بتلك التي رآها في النيل عند زيارته إلى مصر حيث أبدى إعجابه من طريقة صنّع تلك القوارب المركبة من قصب نبات البردي(حسن، 1995، ص 40).

كما عقد مقارنة بين الأشجار التي شاهدها في مدينة فاس بالأشجار الموجودة في مدينة الجزائر فكان يُطيل المشاهدة والتأمل ثم يذكر خصائص كل منهما، يقول في هذا الموضوع بأن أشجار الدلم في المغرب طويلة جداً وأوراقها أكبر بكثير من أوراق الدردار، وتنتج تمارها بشكلين إحداهما مثل العصف التركي والأخرى مثل البلوط الحلو المأكل (بن حمادوش، 1983، ص 99) ، وهكذا سواء كان في الجزائر أو في بلد آخر كان لا يتوقف عن تسجيل ملاحظاته، وكل ما يلفت انتباه في النباتات والحيوانات والظواهر الطبيعية والاجتماعية بحيث نجده يقوم من حين إلى آخر بالبحث في الأعشاب ليستخرج منها مراهم مناسبة لعلاج بعض الأمراض(بن سيفي، 2021، ص ص 66 49) ، وقد ذكر في رحلته أنه كان في الجزائر يخرج في كثير من الأحيان رفقة بعض العشابين إلى الجبال والأرياف للبحث عن بعض الأعشاب وقال بأنه كان حريصاً على ملازمة العشابين ليتعلم منهم، وقد امتلك ابن حمادوش ناصية العلوم عن طريق الدرّس والإجازة والترحال، ومن سوء الحظ أن الكتابات التي تحدثت عنه لم تُطلعنا على من تتلمذ في بداية مشواره، ولو لا رحلته التي تحدث فيها عن طفولته وعائلته لما عرفنا ذلك فقد جاء في الرحلة بأن معظم العلوم قد تلقاها بالدرس

ما عدا علم الكيمياء والموسيقى فقد أخذهما بالإجازة أما الطب فقد أخذه على طبيب السلطان عبد الوهاب أدراق في المغرب(سعد الله، 1998، ص426).

وإلى جانب ولع ابن حمادوش بالكتبُ العلمية فقد اعتمد في البحوث كذلك على الملاحظة والتجربة كان يخرج إلى الجبال والأرياف القريبة من مدينة الجزائر كما ذكرنا سابقاً لإجراء التجارب وجمع النباتات والأعشاب ولأخذ دروس ميدانية مباشرة في مجال رمي القذائف ورصد حركة الرياح، ومواقع النجوم في الليالي المقمرة، ومن بين أهم العلوم التي أهتم بها نجد العلوم الطبية والفلكية وقد ألف في ذلك بعض الكتب فقد كان كثير القراءة في كتب الطب القديمة العربية والأجنبية قرأ ولخص كتابات ابن سينا وابن البيطار(زعيمة، 2003، ص ص 30 12)، والأنطاكي، وكان ينوي تأليف كتاب ضخم في علم الطب وفروعه وقد سماه الجوهر المكنون من بحر القانون، ويبدو من العنوان بأنه كان معتمد في ذلك بشكل كبير على كتاب ابن سينا القانون في الطب(سعد الله، 1998، ص 428)، وقد تحدث ابن حمادوش عن كتابه في رحلته فقال بأنه قد رتبه في أربعة أجزاء، حيث خصص الجزء الأول لموضوع السموم وكيفية علاجها، والجزء الثاني تناول فيه الترياق وما يجري مجراه وتحدث فيه عن بعض المركبات الطبية كالمراهم وبعض الأشربة، أما الجزء الثالث فقد تطرق فيه إلى بعض الأمراض والأوبئة ووضعه على شكل جدول بن إسحاق، والجزء الرابع تناول فيه تعريب وشرح بعض الألفاظ والمفردات الأجنبية الواردة في الكتاب.

وقد وصف كتابه الجوهر المكنون، بأنه كتاب جليل يستأنس به الأصاغر ولا يمجه الأكابر فيه الأسباب والعلامات والعلاجات يقصد أسباب الأمراض وطرق علاجها، وبالإضافة لهذا الكتاب فقد ألفّ في الطب رسالة كذلك سماها تعديل المزاج، وظاهر أنه ألفّها عند ما كان في مدينة الرشيد في إقليم مصر، وهي تتناول معظم الأمراض التي تصيب الجهاز التناسلي وكيفية علاجها (سعد الله،1998، 429).

4- أهم المؤلفات العلمية لابن خمادوش :

وفي مجال آخر فقد درس ابن حمادوش مسارات الطرق البحرية وكان يسمي هذا العلم باسم خاص ؟ حيث قال بأن يدي قد تمرنت في هذا العلم، فوضع في هذا المجال خريطة توضح اتجاهات حركة الرياح، وقد وصف طريقة استعمالها في رحلته لسان المقال، وفي

مجال الجغرافيا ألفّ كُتيب صغير في علوم الأرض وصورتها قال عنه أنه لم يسبقه في هذا الباب أحد من قبل؟، وملاحظ والمتتبع لكتابات بن حمادوش يجدها مختصرة وصغيرة من حيث الحجم لكنها مبتكرة تعكس دقة وأصالة صاحبها وقدرته على درس والفحص وتتبع الظواهر الطبيعية التي يدرسّها كان مثال حقيقي للعلماء المسلمين الذين افتقدنا صبرهم ودقتهم في البحث والتقصي منذ زمناً طويل، كان على شاكلة رجل العلم الإيطالي غاليليو(ماكلاتشلان، 2005، ص ص 45 13)، وعالم الطبيعيات الإنجليزي نيوتن في طريقة التحري والفحص والمقارنة والتدقيق، ومن أهم مؤلفاته العلمية نجد الآتي:

- كتاب في الأعشاب الطبية .
- كتاب فتح المجيب في علم التكعيب.
- كتاب الجوهر المكنون في بحر القانون في الطب .
- كتيب في القوس وحركة الشمس.
- كتيب في صورة الأرض .
- كتاب بغية الأديب في علم التكعيب.
- كتاب في الأوبئة والطاعون (سعد الله،ج، 2009، ص227).

ولابن حمادوش مؤلفات أخرى في الأدب والرحلة والمنطق والشعر، وقد ذكر معظمها في الجزء الثاني من رحلته وهي في الغالب مفقودة وضائعة وغير معروفة(سعد الله،ج، 2009، ص 431) ، ولشدة حبه واهتمامه بالعلوم الطبيعية والتطبيقية كان أين ما حل أثناء رحلته يبحث في أسرار وخبايا الظواهر الطبيعة وأنواع وخصائص النباتات، يقول عندما زرت مدينة تيطوان سألت عن المهتمين بعلم الفلك فلم أجد أحداً يتقنه، أما في علوم الحساب والطب والهندسة فلم أجد من يبحث عنها أصلاً فضلاً عن من يتقنها (بن حمادوش، 1983، ص 71)، ولشدة اهتمامه بالبحث والتنقيب والقراءة في الكتب نستعرض جزء مما ورد في هذا الشأن من رحلته لسان المقال يقول " ... وفي يوم السبت التاسع عشر من ذي القعدة ختمت كتاب الدر الفائق، وفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرون أتممت نسخ كتاب البعقلي على روضة، وفي يوم الأربعاء يقول ابتدأت بنسخ كتاب المحادي للمؤلف الجادري

وفي يوم الخميس ختمت كتاب الروضة مع سيدي عبد الله جنان، وفي يوم الجمعة ابتدأت كتاب روضة الأزهار بشرحها في داري وابتدأت بالقلصادي لجنان ... " (بن حمادوش، 1983، ص106).

5- اهتماماته التجريبية والميدانية :

جاء في رحلته في مجال بحوثه الميدانية ما يلي " ... وفي الثاني عشر من جمادى الأولى خرجت مع بعض الإخوان إلى جبل بومعزة القريب من ناحية بوزريعة في مدينة الجزائر، وكان في رفقتنا أحد العارفين ومتخصصين في الأعشاب فتعلمت منه الكثير من أسرار التداوي بالأعشاب الطبية ... " (بن حمادوش، 1983، ص 120)، يقول كذلك وفي يوم الخميس عشرين من جمادى الثانية الموافق لتاسع عشر يوليه أنتجت وركبت مرهم وسميته معجون الصلاح، وفي السابع وعشرون قمت بإعداد شراب المصطكي وهو من أفخر الأشربة يقول أخذت الوصفة عن الشيخ سيدي الحاج عبد الوهاب أدراق وهو أخذه بدوره عن أشياخه في شرح حديث " المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة " وهو شارب صحي نافع جداً (بن حمادوش، 1983، ص 121).

فقد كان بن حمادوش مهتماً اهتماماً كبيراً بالنباتات في هذه المرحلة من عمره يقول في رحلته في هذا الصدد "... وفي يوم سابع من ربيع الثاني خرجت مع سيدي محمد وكان عشاب فأخذت عنه بعض المعارف عن النبات فالحمد لله على ذلك فقد ساعدتني تلك الخرجات في صقل تجربتي في هذا المجال فأنا اليوم عشاب وصيدلي وطبيب لبعض الأمراض... " (بن حمادوش، 1983، ص 164)، أما في مجال الكتابة والتأليف فقد أورد مقاطع يطلعنا فيها عن منهجه وطريقة الكتابة عنده يقول وفي يوم الجمعة الخامس عشر من ربيع الثاني الموافق لشهر أبريل ابتدأت تأليف في مجال علوم البحر، فكنت أجمع كل ما تعلمته وكل ما له علاقة بالبحر وكانت يدي قد صحت في هذا العلم والحمد لله، ويضيف يقول في يوم الاثنين ابتدأت في وضع خريطة توضح اتجاهات حركة الرياح في البحر، وهي صناعة هندسية سهلة عبارة عن خطوط مربعة وبداخلها دائرة مقسمة إلى اثنان وثلاثون قسم بالتساوي (بن حمادوش، 1983، ص 255)،

ويضيف، وفي يوم ثامن وعشرون جمادى الثانية الموافق ليوم الأحد السادس يوليه تعلمت صنعة عمل الإسطرلاب، والربع المقنطر وألفت في هذا الفن كتاب (بن حمادوش، 1983، ص 257) ويستطرد في رحلته في سرد يومياته ليّعرفنا بإنجازاته العلمية بشكل متسلسل ودقيق فيقول وفي يوم الاثنين الثاني وعشرين من ذي القعدة الموافق للرابع وعشرون من شهر نوفمبر اشتريت القوس الذي يأخذ به النصارى الشمس وتعلمته في وقت وجيز، ثم ألفت فيه وهو عبارة عن آلة ذات قوسين يبصر ماسكها من خرمها الأفق الشمالي بالعين المجردة بشرط أن يستر عيناه بقطعة قماش كستارة(بن حمادوش، 1983، ص 264) يقول وبعد أربعة أيام من شراء القوس أي في يوم الجمعة السادس وعشرون من ذي القعدة ابتدأت في تأليف كتاب في علم الفلك جمعت فيه من الغرائب ما تعلمته ودرسته من قبل(بن حمادوش، 1983، ص 265).

وآخر ما نختم به هذه اليوميات هو ما أورده عن يوم الخميس الموافق لعشرين صفر يقول بدأت في هذا اليوم في تأليف كتاب فتح المجيب في علم التكعيب وقد كنت في هذه الفترة مهتماً ومنكباً أطالع كتب الهندسة والمساحات وهي كتب ألفها النصارى الأوروبيين فشغلتني مسألة حسابية فأعملتُ فكري فيها حتى وجدت الحل وأخرجته في النهاية في شكل كتاب (بن حمادوش، 1983، ص 266).

وقد اهتم بن حمادوش في هذه المرحلة من البحث بما أسماه علم (البونبة) القذيفة أي علم كيفيات رمي القذائف وكان قد تعلم ذلك نظرياً من الكتاب الذي ألفّه العالم الموسوعي عبد الرحمن الفاسي وهو في المغرب ،وقد ذكر في رحلته بأنه قد خرج عّدة مرات مع العلج حسن إلى ميدان الرماية وهو مختص في هذا المجال ولاحظ مباشرة طرق الرمي، ويقول بأن أحد القذائف لشدة قوتها حطمت مرة مهراز (مهراس) المدفع الذي انفجر أمامنا، فكتب في هذا الشأن ما يلي " رمى العلج حسن قذيفة شديدة الطلقة وكانت على ارتفاع حوالي ثلاثة وأربعون 43 قدما من سطح الأرض، وقد شحن المهراز بأربعة أرطال من البارود فانشق المهراز وتحطم لشدة الطلقة " (مقدم،2011، ص 36).

لم يكن ابن حمادوش فيما يبدو مهتماً بحقل معين من العلوم بل كان يبحث في كل العلوم المتاحة في عصره ومن تلك العلوم ما كان يسميه بعلم البلوط لا أدري من أين جاء بهذا الاسم ؟، الذي عرّفه بالعلم المتعلق بمعرفة الطرق البحرية، وقد قال في شأنه بأنه قد

تعلمه وألم به، فقال في رحلته "... أن يدي قد صحت في هذا العلم... "(بن حمادوش، 1983، ص 255) وقد وضع حسب قوله في هذا الشأن خريطة تساعد على تحديد حركة اتجاهات الرياح في البحار وقد ووصفها بأنها صّنعة هندسية سهلة المأخذ(بن حمادوش، 1983، ص256).

وقد كان اهتمامه منصب أيضا على علم الفلك وهذا حسب ما أورده دائما في رحلته لسان المقال التي جاء فيها ما يلي "...لقد تعلمت سبعة تواريخ يقصد تقاويم فلكية وهي العربي والمسيحي، والسكندري والفارسي، والملكي، والقبطي، والعبري..." (بن حمادوش، 1983، ص 264).

وقد كان حريص كعادته على الالتقاء بالمشايخ والعلماء كلما سنحت الفرصة، يذكر بأنه عند ما كان في مدينة فاس سمع بأن فيها منجم مشهور اسمه سيدي محمد القسنطيني والذي يبدو من اسمه بأنه جزائري قال فذهبت له وناقشته وحاورته في عّدة مواضيع، يقول وعندما أحضرت له الأنصاب والجداول الفلكية لم يدري كيف يعمل بها ولم أجد عنده من العلم ما يغني ففارقته (بن حمادوش، 1983، ص 81).

وبحسب ما ورد وصور في رحلته لسان المقال من اهتمام وفضول وشغف بالمغامرات علمية، يعتبر بن حمادوش رجل العصر، العلمي والموسوعي بمعنى الكلمة، فقد كان له في كل مجال من مجالات العلوم نصيب كان في مجال الرياضيات رياضي بارع، وفي مجال الصيدلة والطب متميزاً ، وفي علم الفلك والفيزياء متمكناً، وهذا بغض النظر عن العلوم النقلية الأخرى كالآداب، والفقه والشعر والتاريخ ،كان الرجل متعدد المعارف في ذلك العصر، وهذا ما يثير الإعجاب ويفتح باب الفضول للبحث أكثر في مسيرته الناذرة الوجود في العالم العربي والإسلامي في تلك الحقبة من التاريخ (بكاري، 2017 ، ص ص 235 259).

7- خاتمة : وفي نهاية المطاف يمكننا أن نلخص مجمل اهتمامات الرجل العلمية والثقافية في النقاط الآتية :

- اهتم بن حمادوش في مساره المعرفي بكل ما هو علمي وتجريبي فاشتغل بالبحث في علوم الطب والصيدلة والفلك والحساب والهندسة في عصر سادت فيه علوم التصوف والوعظ والحشو والنقل .

- جمع ابن حمادوش حسب ما ورد في رحلته المسماة لسان المقال بين العلوم بمختلف فروعها والتجارة ومتطلباتها، فكان يركّب المراهم الطبية والأشربة صحية، ويكتب الأشعار ويهتم بالمعرفة كالفقه والآدب والتاريخ، وفي أحيان أُخر ويبيع ويشتري في الأسواق متى واتته الفرصة .

- تزخر رحلته بمعلومات كثيرة وبأحداث ووقائع متعددة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية تعكس ما كان يجري في المجتمع في الجزائري والمغربي، فهي مصدر مهم للأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية في تلك الحقبة من تاريخنا.

- تعتبر رحلة ابن حمادوش جزء ومصدر مهم في التاريخ الحديث للبلدين الجزائر والمغرب الأقصى لما ورد فيها من أحداث ووقائع وعُلماء والمشايخ وكُتب ومكتبات ومجالس علم في بلاد المغرب والمشرق العربي، فهي تقدم صورة حقيقية لطبيعة ومستوى العلوم التي كانت متداولة في ذلك العصر .

- من خلال التنقيب في الرحلة نجد أنها عدا كونها مصدر تاريخي مهم في تاريخ الجزائر والمغرب وفي تاريخ العهد العثماني، فهي أيضا مصدر مهم لحياة المؤلف، فقد كشفت لنا على مدى انشغال وتعلق ابن حمادوش بالكتب والعلم، كما أبرزت لنا مدى تعلقه الواضح بطريق التصوف في كل شؤون حياته وفي مختلف محطات رحلاته، بالإضافة إلى أن رحلته بدأت كسبيل للنجاة من الفقر ومحاولة لطلب الرزق في المغرب، وإثناء ذلك انتهز الفرصة لكتابة يومياته ومجالسه مع مختلف العلماء وأخذ إجازات منهم.

- تعتبر هذه الرحلة من أهم مصادر العهد العثماني في الجزائر والعهد العلوي في المغرب وقد تميزت بكثرة المعلومات عن البلدين، خاصة وأن كتب الرحلات في تلك الفترة ضئيل، فقد قيد وكتب ابن حمادوش في مختلف المواضيع السياسية والاجتماعية في كل من المغرب والجزائر وهذا ما كان واضحا في رحلته.

- بينت لنا الرحلة طبيعة التواصل الذي كان قائم بين البلدين الجزائر والمغرب، وبين العلماء، والذي كان ذو طابع ثقافي وعلمي من خلال عقد المجالس العلمية، وتبادل الإجازات وعقد المناظرات.

- كما أوضحت لنا أهمية الطرق الصوفية التي لعبت هي الأخرى دورا كبيرا في توطيد وتمتين العلاقات الثقافية بين الدول المغـاربية، من خلال انتقال الطرق الصوفية بين هذه البلدان وانتشار الزوايا وانتشار المؤلفات الصوفية التي ميزت الفترة العثمانية عموما.

وبهذا القدر لعلنا نكون قد قدمنا جزء ضئيل وبسيط من الحياة الثقافية والعلمية لذلك الرجل الموسوعي والرحّالة بن حمادوش الجزائري، وفي الختام يمكننا القول أن رحلة ابن حمـادوش قد جمّعت خليط من الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية للبلدين الجزائر والمغرب في فترة مهمة من التاريخ، وقد تميز أسلوبه في الكتابة بالسهولة واليسر مما جعل كتاب رحلته سهلة الفهم للخاصة، والعامة.

قائمة المراجع:

ابن حمادوش ع. ا. . (1983). لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

ابن البيطار ض. ا. (2011). العلاج بالأعشاب. بيروت، لبنان: دار بن خلدون للنشر والتوزيع.

سعد الله أ. ا. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي. لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي .

عمورة ع. (2009). الجزائر بوابة التاريخ من ماقبل التاريخ الى غاية 1962. الجزائر: دار المعرفة.

سعيدوني ن. ا. (1999). من التراث التاريخي والجغرافي والمغرب الإسلامي. بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي.

ماكلاشلان ج. (2005). غاليليو غاليلي الفيزيائي الأول. الرياض، السعودية: مكتبة العبيكان.

حنيفي هـ. (2008). أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. عين مليلة الجزائر: دار الهدى.

بن سيفي ع. (2021). منهج ابن حمادوش الجزائري في علوم الطب والصيدلة. مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية جامعة معسكر , 11(02).

الحفناوي أ. ا. (1997). تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر: دار الشهاب.

بكاري ع. (2017). عبدالرزاق ابن حمادوش والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بلسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال. مجلة عصور الجديدة, 7(26).

حسن مصطفى ح. (1995). النباتات في الشعر العربي. الرياض السعودية: مطابع جامعة الملك سعود.

سعد الله أ. ا. (2009). أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر. الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

ليكليرك ل. (1876). تاريخ الطب العربي. باريس: مطابع فرنسا.

أبو الأجفان م. (1978). رحلة القلصادي. تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

سعد الله أ. ا. (1983). تجارب في الأدب والرحلة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

عامر م. (2012). المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية. مجلة دراسات تاريخية, 13(117).

شقرون ع. ا. (2017). الرحالة الجزائري أحمدبن عمار 1205هـ-1790م (أطروحة ماستر). جامعة أبوبكر بلقايد, تلمسان.

مقدم ف. (2011). الخصائص السردية في رحلة ابن حمادوش الجزائري (أطروحة ماجستير). جامعة وهران السانية , وهران.

نويهض ع. (2013). معجم أعلام الجزائر من صدور الإسلام حتى العصر الحاضر. الجزائر: دار الأبحاث .